"إنَّها سنةٌ كونية"

آيات الله تعالى التي هي نوع حججه سبحانه على خلقه لها دلالات ومقدمات وتفاصيل ذكرها أهل التخصص في كتب النبوات ودلائلها وما تعلق بها من الكلام عن الخوارق مطلقاً ونحو ذلك.

ومن هذه العلامات والمقدمات والمؤشرات على تلك الآيات لله تعالى: كونها مما عرف الناس أصله وإن لم يعتادوا عليه، غير أنها تأتي بما لا تألفه النفوس، بحيث يحصل بها الاختبار، إذ لو ألفوها وكانت عادية من جهة الاستمرار لدى الناس، ما حصل بها الالتفات غالباً، ولا قامت مقام الحجية.

ومن هذا: ما عرفه العرب من الفصاحة وأساليب الكتابة والإلقاء والشعر والسجع ونحو ذلك، فلما جاء القرآن بلغتهم، وقد عرفوا أصل المعجزة أو الآية من اللغة المذكورة، غير أنهم لم يألفوا طريقة القرآن من جهة التركيب والنظم ونحوهما، كان آية من آيات الله المعجزة الباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ ولهذا حصل به الامتحان من هذه الجهة، مع وجود جهات أُخر إلا أن هذه هي المقصودة هنا.

وكذلك: ما عرفه العرب وغيرهم من الغيب النسبي أو الجزئي، وقد اُشتهرت هذه الأمور التي هي محاولة معرفة الغيب والاطلاع عليه عند أقوام من العرب وغيرهم بالاستعانة بالجن وغيره كالنظر في النجوم والكواكب، أو استخدام العرافات والكهان؛ فلما حدثهم النبي ﷺ بغيبيات كثيرة وقد عرفوا الأصل -كما ذكرنا- غير أنهم لم يألفوا هذا النظم في الحكاية، ولا الصدق في الرواية، استقامت شرطية الآية من هذا الوجه كما ذكرنا آنفاً، فأمكن الامتحان بها، وهكذا في هذا الباب..

وعلى هذا.. فاعلم أن الله -جلَّ في علاه- قد جعل آياتٍ خاصةً للناس في أوقات معينة تظهر عند انعدام النبوة -عند القائلين بجواز ذلك-، أو بعد انقطاعها بعد موت

النبي ﷺ إذ لا نبي بعده، وهذه الآيات هي من جنس الخوارق الواقعة للأنبياء وإن اختلفت معها في صفات ليس هذا محل ذكرها ولا بحثها، وهذه الآيات الواقعة بعد جنس النبوة هي من حجج الله تعالى كذلك على خلقه بالبشارة والنذارة.

ومن هذا -مثلاً- ما يكون آخر الزمان من صدق رؤيا المؤمن، بل وكثرة رؤى الصالحين وتوافقها، وكون هذه الرؤى تُعد آية من آيات الله تعالى بأن أصل الرؤية معلوم لدى عامة الناس، لكن ما لم يألفه عامة الناس هو التضافر العجيب والكثرة التي تخرج عن حد الاعتياد لما يراه الصالحون، حيث يقع التوافق بما لم تُعهد هذه الحال من قبل، وقد يحصل بهذه الكثرة التواتر الذي هو مؤذن بصدق الرؤى هذه؛ مع ما روي من كون رؤيا المؤمن جزء من ستة وثلاثين جزءً من النبوة ونحوها من المرويات.

ومما يُلحظ في الآونة الأخيرة: ظهور نوع آخر من الآيات ألا وهو تضافر وتوافق المستشرفين بالمستقبل القريب لأحوال العالم عموما والإسلامي منه خصوصاً، فهذا الاستشراف وإن كان معلوم الأصل لدى عامة الناس، وقد وقع لآحاد الناس سابقاً بما لا شك فيه، إلا أن تضافر استشراف جمع من الناس على اختلاف دياناتهم وتوجهاتهم بما لم يألفه الناس من قبل في هذه الأزمنة، خاصة وأن من المستشرفين هؤلاء منهم كان على قيد الحياة منذ عقود ليست بالقليلة، بل ومنهم من كان على قيد الحياة منذ خمسين عاماً زاد أو كثر، ولم يكن أحدهم يستشرف واقعه كما يحدث الآن، بل ولا يتوافق مع غيره كما الآن، هذا إن حدث منه نوع استشراف جزئي أصلاً.

ولذلك فإن الاستشراف بهذه الطريقة التي قد يحصل بها نوع تواتر، ما هو إلا آية من آيات الله تعالى، وهو كذلك من حجج الله تعالى على خلقه بشارة ونذارة.

ومن هذا الباب: استشهاد البخاري -رحمه الله- بما روى عن هرقل ملك الروم بأنه نظر في النجوم فرأى أن هذا وقت خروج نبي.. فكان استشهاد البخاري لا بنفس التنجيم، بل بإثبات التوافق والتضافر الحاصل بين الناس قبل خروج النبي ﷺ، حيث يُعد هذا من الحجج التي تقام عليهم بها.

وكذلك ما روى في قصة بحيري الراهب على خلافٍ في ثبوتها بين العلماء، وغيرها الكثير من الأمور التي ذكرها العلماء في كتب دلائل النبوة، وما تعلق بها.

فنخلص من هذه الإشارة إلى كون التوافق الحاصل هذه الأيام من الاستشراف للمستقبل القريب وتضافر الناس فيه قراءة وتحليلاً هو أمرٌ عجيب مع اختلاف المشارب -كما ذكرنا-، وهو مؤذن ببشريات ونذارات وأحداث تتغير فيها وبها كثير من ملامح هذا العالم وأحواله... والعود فيها بالخيرات والفتوحات لأمة الإسلام بإذن الله.

والله أعلم وصلى الله محمد آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً.

ليلة الأحد 11 جمادى الآخرة 1445

24 كانون الأول (ديسمبر) 2023

محمود أبو حمْدة